



## الفصل الثاني

### اهتمام الأمم والشعوب بدفع داء الغنوسة

#### المبحث الأول

#### دفع الغنوسة عند العرب

#### المبحث الثاني

#### دفع الغنوسة عند غير العرب

## المبحث الأول

### دفع الغنوسة عند العرب

- ١ - نشر الشعر وكحل إحدى العينين
- ٢ - الدعاية والإعلان
- ٣ - الدعاء والتمني
- ٤ - عرض المرأة نفسها على الرجال
- ٥ - سرعة الإجابة للخاطبين
- ٦ - التزين
- ٧ - الكذب والإشاعات لإنفاق الأيم
- ٨ - حث المرأة أهلها على زواجها واستعجالهم بإدخالها على زوجها
- ٩ - الاستعانة بالمراسلات من النساء
- ١٠ - اللجوء إلى الخداع والتفريير واستبدال العانس بغيرها
- ١١ - وجود ذاكرين للأسر وواصفين لجمال النساء

## المبحث الأول

## دفع الغنوسة عند العرب

ذكرنا في مقدمة كتابنا هذا أن الغنوسة لم تكن ظاهرة تؤرق المجتمع العربي، بل كان العربي يندبته خوفاً من زواجها بغير الأكفاء، وضمانة بها من دفعها لرجل، وأحياناً كان يعتل على خاتبة ابنته بعد موافقتها على مصاهرة هذا المتقدم لابنته كأن يعتل بصغر سن ابنته وأنها دون سن الزواج، كما فعل والد جرير الشاعر فقد تقدم لابنته — وهي أم جرير — متقدماً فرده متعللاً بصغر سنها، ودار بينهما الحوار الذي ذكره ابن منظور بقوله: الحقة: نَبْرُ أم جرير بن الخطفي، وذلك لأن سويد بن كراع خطبها إلى أبيها فقال له: إنما لصغيرة صُرعة، قال سويد: لقد رأيتها وهي حقة<sup>(١)</sup> أي كالحقة من الإبل في عظمها.<sup>(٢)</sup> وقد يشتط أهل المرأة في مهرها اشتطاطاً ليس بعده اشتطاط، يقصدون منه تعجيز المتقدم لطلب يد ابنتهم، قال كثير:

وإن الذي ينوي من المال أهلها أوارك،<sup>(٣)</sup> لما تأتلف، وعوادي<sup>(٤)</sup>

(١) الحق، بالكسر، من الإبل: الداخلة، في الرابعة، وقد حقت تحق حقةً وحقاً، بكسرهما، وأحقت، وهي حقٌ وحقة، بيّنة الحقة، بالكسر أيضاً، ولا نظير لها، ج: حقق، كعنب، وحقاق، وجج: حُقق، بضمّتين، سمي لأنه استحق أن يُركب، أو استحق الضراب. [القاموس المحيط للفيروز آبادي، باب القاف، فصل الحاء]

(٢) لسان العرب، مادة: حقق

(٣) الإبل الأوارك: التي اعتادت أكل الأراك، والفعل أركت تأرك أركاً، وقد أركت أروكاً إذا لزم مكانها فلم تبرح، وقيل: إنما يقال أركت إذا أقامت في الأراك وهو الحمض، فهي أركة. [لسان العرب، مادة: أرك]

(٤) ذكر امرأة وأن أهلها يطلبون في مهرها من المال ما لا يمكن ولا يكون كما لا تأتلف هذه الأوارك والعوادي، فكان هذا ضداً لأن العوادي على هذين القولين هي التي ترعى الحقة والأوارك التي ترعى

أرَكَتِ الناقاة أَرَكَأً، فهي أَرِكَةٌ مقصور، من إِبِلِ أَرُكٍ وأَوَارِكٍ: أَكَلَتِ الأَرَاكِ، والإِبِلِ الأَوَارِكِ: التي اعتادت أكل الأَرَاكِ، والفعل أَرَكَتْ تُأَرِكُ أَرَكَأً، وقد أَرَكَتْ أَرُوكاً إِذَا لَزِمَتْ مَكَانَهَا فلم تَبْرَحْ، وقيل: إِذَا يُقَالُ أَرَكَتْ إِذَا أَقَامَتْ فِي الأَرَاكِ وهو الحَمْضُ، فهي أَرِكَةٌ، يقول: إِنَّ أَهْلَ عَزَّةَ يَبُوءُونَ أَنَّ لَآ يَجْتَمِعُ هُوَ وَهِيَ وَيَكُونَا كَالأَوَارِكِ مِنَ الإِبِلِ وَالعَوَادِي فِي تَرْكِ الاجْتِمَاعِ فِي مَكَانٍ، وقيل: العَوَادِي المَقِيمَاتُ فِي العَضَاءِ لَا تَفَارِقُهَا، يقول: أَهْلُ هَذِهِ المَرَأَةُ يَطْلُبُونَ مِنْ مَهْرِهَا مَا لَا يُمْكِنُ كَمَا لَا يُمْكِنُ أَنَّ تَأْتَلَفَ الأَوَارِكِ وَالعَوَادِي وَتَجْتَمِعَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ.<sup>(١)</sup>

ومن خلال تبعية الطويل لموضوع العنوسة وجدت أن النساء كن في الجاهلية إذا أعزلهن أولياؤهن وعنسوهن أو كبرن وخفن ذهاب قطار الزواج يفعلن الآتي:

١ - نشر الشعر وكحل إحدى العينين:

كان من مذاهب العرب في الجاهلية أن المرأة منهم إذا عسر عليها خاطب النكاح، نشرت جانباً من شعرها، وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور، وحجلت على إحدى رجليها، ويكون ذلك ليلاً، وتقول: يا لكاح أبغي النكاح قبل الصباح، فيسهل أمرها وتتزوج عن قرب،

قال رجل لصديق وقد رأى أمه تفعل ذلك:

أما ترى أمك تبغي بعيلاً      وقد نشرت من شعرها الأكلحلاً  
ولم توف مقلتيها كحللاً      ترفع رجلاً وتخط رجلاً

الحَمْضُ، وهما مُخْتَلِفَا الطَّعْمَيْنِ لِأَنَّ الحُلَّةَ مَا حَلَا مِنَ المَرْعَى، وَالحَمْضُ مِنْهُ مَا كَانَتْ فِيهِ مُلُوحَةٌ، والأَوَارِكِ التي تَرعى الأَرَاكِ وَليْسَ بِحَمْضٍ وَلَا حُلَّةٍ، إِذَا هُوَ شَجَرٌ عِظَامٌ. [لسان العرب، مادة: عدا]

(١) لسان العرب، مادة: أرك

هذا وقد شاب بنوها أصلا  
 أخذها القطيع ثم سمها الذلا  
 وأصبح الأصغر منهم كهلا  
 ضربا تترك به هذا الفعلا  
 وقال آخر:

قد كحلت عينا وألقت عينا  
 وحجّلت ونشرت قرينا

تظن زينا ما تراه شينا

وقال أحد الشعراء مؤنسا امرأة بأنها لا خاطب لها:

تصنعي ما شئت أن تصنعي  
 ثم احجّلي في البيت أوفي المجمع  
 وكحّلي عينيك أو لا فدعي  
 مالك بعلى أرى من مطمع<sup>(١)</sup>  
 ٢- الدعاية والإعلان:

الدعاية والإعلان من الأشياء المنفقة للسلعة التي يريد صاحبها رواجها، وقد فطن العرب لذلك في جاهليتهم والدعاية اليوم تقوم على استعمال المذياع والتلفاز والصحف والمجلات مما يعني أنها مقروءة ومسموعة ومرئية وبما أن المجتمعات العربية كان يغلب عليها الأمية فكانت الكتابة فيها قليلة جدا ولم تظهر المرئيات من تلفاز وغيره بعد، فكانت الدعاية تقوم على إسماع الآخرين وإبلاغهم حسن الصنف المطلوب رواجه، فكان الشعراء يروجون لما يريدون ولما يريد المجتمع من رفع بعض الأشياء وحطها بمحدهم للأول والإشادة به وبمجهوم للثاني وذمهم له.

ومن أمثلة ترويج البضائع والسلع ما قاله الأصمعي: قدم تاجر من أهل الكوفة المدينة بأخمرة فباعها كلها إلا السود منها، فلم تنفق، وكان صديقا للدارمي الشاعر،

(١) شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٤٤٣

فشكا ذلك إليه ، وكان الدارمي قد تنسك ، وترك الشعر والغناء ، فقال له : لا تهتم بذلك فإني سأنفقها لك حتى تبيع جميعها إن شاء الله تعالى ، ثم قال :

قل للمليحة في الخمار الأسود      ماذا صنعت بزاهد متعبد  
قد كان شمر للصلاة ثيابه      حتى عرضت له بباب المسجد  
ردي عليه صيامه وصلاته      لا تقتليه بحق دين محمد

فشاع قول الدارمي هذا في الناس وقالوا: رجع الدارمي عن نسكه، وعاد إلى فكه، فلم تبق في المدينة امرأة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نفذ ما كان عند العراقي، فلما علم الدارمي ذلك رجع إلى نسكه ولزم المسجد.<sup>(١)</sup>

ومن ما يدخل في دائرة الدعاية والإعلان المتعلق بدفع العنوسة الآتي:

أ - طلب المرأة من أحد الشعراء أن يشبب بها:

شيب ذو الرمة بخرقاء العامرية بغير هوى، وإنما كانت كحالة فداوت عينه من رمد كان بها، فقال لها: ما تحبين حتى أعطيك؟ فقالت: لي عشر بنات أيامي، فشبب بي ليرغب الناس فيهن إذا سمعوا في بقية للتشبيب ففعل.<sup>(٢)</sup>

وقال السدوسي وقف نصيب على أبيات واستسقى ماء فخرجت إليه جارية بلبن

أو ماء فسقته وقالت: شيب بي فقال: وما اسمك؟ قالت: هند فنظر إلى جبل وقال: ما اسم هذا العلم؟ قالت: قنا فأنشأ يقول:

أحب قنا من حسب هند ولم      أكن أبالي أقربا زاده الله أم بعدا  
أروني قنا أنظر إليه فإنني      أحب قنا إنني رأيت به هنداً

(١) مهجة المجالس ج ١ ص ٥٥٨

(٢) انظر الأغاني ج ١٧ ص ٣٣٦

فشاعت هذه الأبيات وخطبت الجارية من أجلها وأصاب الجارية خيرا بشعر نصيب فيها. (١)

ب - طلب الوالدين من الشاعر أن يشبب بابنتهم:

قد يطلب أحد الوالدين أو كلاهما من شاعر أن يشبب بابنتهما العانس لينفك سوقها ويسهل أمرها: قال الأصمعي: حدثني رجل قال: جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت: إن لي بنات قد كسدن عليّ فشيب بواحدة منهن لعلها تنفق، فشيب بواحدة منهن، فما شعر الأعشى إلا بجزور قد بعث إليه فقال: ما هذا؟ فقالوا: زوجت فلانة؟ فشيب بالأخرى فاتاه مثل ذلك. فسأل عنها فقيل: زوجت فما زال يشبب بواحدة فواحدة منهن حتى زوجهن جميعا. (٢)

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: ورأيت في ديوان الشماخ: نزلت امرأة المدينة ومعها بنات لها وسيمات فجعلت للشماخ عن كل واحدة جزورا على أن يذكرهن فذكر له قصيدة. (٣)

ج - طلب الأب من أحد الشعراء إشهار أمره:

قد يطلب أحد الآباء من أحد الشعراء مدحه وإشهار أمره وإعلاء ذكره والتنويه بشرفه ولفت الأنظار إليه حتى يرغب الناس في بناته، ويودون مصاهرته، ومن ذلك: كان

(١) معجم البلدان ج ٤ ص ٤٠٠

(٢) الأغاني ج ٨ ص ٧٨ - ٧٩

(٣) الإصابة لابن حجر، ترجمة: ٣٩٢٢

المحلّق بن حنتم بن شداد<sup>(١)</sup> رجلاً فقيراً من بني عكاظ خامل الذكر وكان له عشر بنات، لا يرغب فيهن أحد لفقرهن، ففارق حي عكاظ وانعزل عنهم إلى بعض المهامه والبراري لأنفة نفسه، فترل به الأعشى ذات ليلة فأحسن قراه وأكرم مثواه، ونحر له ناقة لم يكن عنده غيرها، فوقع سخاؤه من الأعشى موقعا جليلا، فلما أصبح الأعشى واستوى على راحلته، قال له ألك حاجة؟ قال: نعم قال: فما هي؟ قال: إني أريد أن تسير بذكرى في بني عكاظ والعرب لعلي أشتهر ويرغب في بناتي أحد فقد مسهن العنس. فقال الأعشى كيف أمرهن ثم توجه الأعشى إلى عكاظ ومدحه بقصيدة طويلة منها:

أرقت وما هذا السهاد المورق      وما بي من سقم وما بي معشوق  
 لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة      إلى ضوء نار باليفاع تحرق  
 تُشَبُّ لِمَقْرورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا      وبات على النار الندى والمحلّق  
 تَرُوحَ على آل المحلّق جفنةً      كجاية الشيخ العراقي تفهوق

فذكر في قصيدته مكارم أخلاق المحلق ومحاسن شيمه، واستمال قلوب أهل عكاظ إلى مواصلته وإخائه، فلم يمض إلا قليل حتى خطب إليه جميع بناته.<sup>(٢)</sup>

**د- عرض الفتيات وهن صغار على أهل الحي قبل حجبهن:**

ومن الأشياء التي كان يقوم بها العرب لإنفاق بناتهم الصغار، هي عرضهن على أهل الحي من الرجال والشبان، وذلك عند صغرهن وقبل بلوغهن، ليتقدم إليهن من يرغب فيهن، ويكون قد نظر إليهن، وذلك لأن الحجاب، كان سائدا عند القبائل العربية

(١) المحلّق. بكسر اللام: اسم رجل من ولد بكر بن كلاب من بني عامر ممدوح الأعشى؛ قال ابن سيده: المحلّق اسم رجل سمي بذلك لأن فرسه عضته في وجهه فتركت به أثراً على شكل الحلقة.

[لسان العرب مادة: حلق]

(٢) شواهد الكشاف ج ٤ ص ٤٦٩ / وانظر القصيدة كاملة في: ديوان الأعشى ص ١١٦ - ١٢١

ومتشرا بينها، فكان الشخص لا يرى من المرأة شيئا وذلك لاحتجابها واستارها، وذلك للبسها النقاب والوصاوص والبرقع واستعمالها اللثام والاعتجار.

والبنت التي تعرض على القوم بقصد النظر إليها حتى يخطبها من يرغب فيها تسمى المعرّضة، قال ابن منظور: والمُعْرَضَةُ من النساء: البكر قبل أن تُحْجَبَ وذلك أَمَّا تُعْرَضُ على أهل الحيِّ عَرَضَةً لِيُرْغَبُوا فِيهَا مَن رَغِبَ ثُمَّ يَحْجُبُونَهَا؛ قال الكميّ:

لِيَالِينَا إِذْ لَا تَزَالُ تُرَوِّعُنَا      مُعْرَضَةً مِنْهُنَّ بِكُرٍّ وَتَيْبٍ<sup>(١)</sup>

٢ - الدعاء والتمني:

أ - الدعاء :

قالت امرأة تدعو وتبين نوع زوجها الذي تريده وتتمناه :

فيا رب لا تجعل شبابي وبهجتي      لشيخ يعنيني ولا لغلام  
ولكن صُمْلٌ<sup>(٢)</sup> أقدم عسا عظم زوره      شديد مناط العُضدين حسام  
فنبئت أن الشيخ يعذل أهله      وفي بعض أخلاق الرجال عرام<sup>(٣)</sup>

ب - التمني:

التمني عند الفتيات العوانس كثير جدا، فيظهرن بعضه ويخفين أكثره ويكتمنه،

أنشد ابن الأعرابي:

كَتَمَ الْحُبُّ فَأَخْفَاهُ، كَمَا      تَكْتُمُ الْبِكْرُ مِنَ النَّاسِ الْوَحْمَ

(١) لسان العرب، مادة: عرض

(٢) رجل صُمْلٌ بضمّين وتشديد اللام أي شديد الخلق. [مختار الصحاح للرازي، باب الصاد]

(٣) خلق الإنسان لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت تحقيق عبد الستار أحمد فراج الطبعة الثانية مطبعة

والوَحْمُ: شهوةُ النكاح. (١) وقد صور لنا رؤبة بن العجاج حال امرأة بلغت من العنوسة وعدم الزواج مبلغا جعلها تقول :

قالت سليمي ليت لي بعلا يمن      بغسل جلدي وينسيني الحزن  
وحاجة ليست لها عندي ثمن      مشهورة قضاؤها منه وهن  
قالت بنات العم يا سلمى وإنن      كان فقيرا معدما ؟ قالت وإنن (٢)  
وقال آخر يصف ضخم امرأة وصحتها وسمتها وما يجيش بخلدتها من أماني عن  
مستقبل حياتها:

جارية أعظمها أجمها (٣)  
تبيت وسنى والنكاح همها  
قد سمتها بالسويق أمها  
بأئنة الرجل فما تضمها  
فهي تمني عرابا (٤) يشمها (٥)

ولا يقتصر التمني على النساء العوانس فقط بل قد يتجاوزهن إلى غيرهن من المتزوجات اللاتي يطمحن بأعينهن إلى بعض الرجال لجماهم ولكريم خصاهم كما في قصة نصر بن

(١) انظر : لسان العرب مادة : وحم

(٢) العقد الفريد ج ٤ ص ٨٦ / أوضح المسالك ج ١ ص ١٨

(٣) الأجم: قبل المرأة.

(٤) قالت بعض نساء الأعراب وهي تمني بعبلاً: إن ضمّ قطنقض، وإن دسر أغمص، وإن أخلّ أحمص؛ قالت لها أمها: لقد قررت لي شرّة الشباب جذعة؛ تقول: إن أخذ من قبل أتبع ذلك بأن يأخذ من دبر. [لسان العرب، مادة: خلل]

(٥) لسان العرب، مادة: جم

حجاج بن علاط السلمي الذي نفاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البصرة وكان عمر قد خرج يتعسس ليلا فسمع امرأة تنشد:

يا ليت شعري عن نفسي أزهقة مني ولم أقض ما فيها من الحجاج  
ألا هل من سبيل إلى خمير فأشربها أم هل من سبيل إلى نصير بن حجاج

فقال: أما في عهد عمر فلا، فلما أصبح دعا نصر بن حجاج فرآه فإذا هو من أحسن الناس وجها فأمره أن يعتم فازداد جمالا فحلق رأسه وأمر بنفيه إلى البصرة فقال: وما ذنبي؟ قال عمر: الذنب ذنبي إن تركتك في دار الهجرة.<sup>(١)</sup>

وقال حافظ إبراهيم مصورا مشهد نصر بن حجاج مع عواتق المدينة وحسناواتها وموقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه معه:

جنى الجمال على نصر فغربه عن المدينة تبكيه وبكيها  
كانت له لمة<sup>(٢)</sup> فينانة<sup>(٣)</sup> عجب على جبين خليق أن يحليها  
وكان أنى مشى مالت عقائلها<sup>(٤)</sup> شوقا إليه وكاد الحسن يسبها  
هتفت تحت الليالي باسمه شققا وللحسان تمنن في لياليها  
جززت لمته لما أتيت به ففاق عاطلها<sup>(٥)</sup> في الحسن حالها

(١) بهجة المجالس ج ١ ص ٨١١-٨١٢ / النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {منا}

(٢) لمة: بالكسرة: الشعر المجاور شحمة الأذن والجمع لم.

(٣) فينانة: طويلة حسنة

(٤) عقائلها: عقائل المدينة. وعقائل النساء كرائمهن الواحدة عقيلة. يسبها بأسرها

(٥) عاطل اللمة: المجرد منها. وحاليها: المتزين منها.

فصح فيهِ تحول عن مدينتهم فإنها فتنة أخشى تماديها<sup>(١)</sup>  
 ٤ - عرض المرأة نفسها على الرجال:

عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَنَسٍ وَعِنْدَهُ ابْنَةٌ لَهُ قَالَ أَنَسٌ جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْرِضُ عَلَيْهِ نَفْسَهَا قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا بِي حَاجَةٌ فَقَالَتْ بِنْتُ أَنَسٍ مَا أَقَلَّ حَيَاءَهَا وَاسْوَأَاتَاهَا وَاسْوَأَاتَاهُ قَالَ هِيَ خَيْرٌ مِنْكَ رَغِبْتَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَرَضْتَ عَلَيْهِ نَفْسَهَا.<sup>(٢)</sup>

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : قوله (وعنده ابنة له) لم أقف على اسمها وأظنها أمينة بالتصغير . قوله (جاءت امرأة) لم أقف على تعينها ، وأشبهه من رأيت بقصتها ممن تقدم ذكر اسمهن في الواهبات ليلي بنت قيس بن الخطيم ، ويظهر لي أنها صاحبة هذه القصة غير التي في حديث سهل . قوله (واسوأتاه) أصل السوءة - وهي بفتح المهملة وسكون الواو بعدها همزة - الفعلة القبيحة ، وتطلق على الفرج ، والمراد هنا الأول ، والألف للندبة والهاء للسكت.<sup>(٣)</sup>

قال ابن المنير : من لطائف البخاري أنه لما علم الخصوصية في قصة الواهبة استبطن من الحديث ما لا خصوصية فيه وهو جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح رغبة في صلاحه فيجوز لها ذلك وإذا رغب فيها تزوجها بشرطه.<sup>(٤)</sup>

(١) ديوان حافظ إبراهيم ج ١ ص ٨٩ - ٩٠

(٢) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب: عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، حديث رقم:

٤٧٢٦

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٢١١ - ٢١٢

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١١ ص ٧٩

وقال ابن حجر : وفي حديث الواهبة نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن من رغبت في تزويج من هو أعلى منها لا عار عليها أصلاً ولا سيما إن كان هناك غرض صحيح أو قصد صالح إما لفضل ديني في المخطوب أو هوى يخشى من السكوت عنه الوقوع في محذور.<sup>(١)</sup>

#### ٥ - سرعة الإجابة للمخاطبين :

أم خارجة<sup>(٢)</sup> هي عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قدار بن ثعلبة، كان يأتيها الخاطب، فيقول: خطب. فتقول: نكح . فيقول: أنزلي. فتقول: أنخ.

ذكر أنها كانت تسير يوماً وابن لها يقود جملها، فرفع لها شخص، فقالت لابنها: من ترى ذلك الشخص؟ فقال: أراه خاطباً، فقالت: يا بني تراه يعجلنا أن نحل، ماله إل وغل. وكانت ذواقة تطلق الرجل إذا جربته وتتزوج آخر، فتزوجت نيفاً وأربعين زوجاً، وولدت عامة قبائل العرب.

تزوجت رجلاً من إياد فخلعها منه ابن أختها خلف بن دعد وخلف عليها بعد الإيادي بكر بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ، فولدت له خارجة وبه كنية، وهو بطن ضخم من بطون العرب. ثم تزوجها عمرو بن ربيعة بن حارثة، بن عمرو مزيقياً فولدت له سعد أبا المصطلق والحيا ، وهما بطنان في خزاعة، ثم خلف عليها بكر بن عبد مناة بن كنانة، فولدت له ليثا والديل وعريجا، ثم خلف عليها مالك بن ثعلبة

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١١ ص ١٢٢

(٢) قال الفيروز آبادي : أم خارجة ، امرأة من بجيلة ، ولدت كثيراً من القبائل ، كان يُقال لها : خطب ، فتقول : نكح ، وخارجة ابنتها ، ولا يُعلم ممن هو ، أو هو ابن بكر بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان . [القاموس المحيط للفيروز آبادي : باب الجيم ، فصلُ الخاء / لسان العرب ،

بن دودان بن أسد بن فرات، فولدت له غاضرة وعمرا، ثم خلف عليها جشم بن مالك بن كعب بن القين بن جسر من قضاة فولدت له عرانية بطنا ضخما، ثم خلف عليها عامر بن عمرو بن حيون البهراني من قضاة، فولدت له ستة: بهراء وثعلبة وهلالا وبيانا وخنوة والعنبر، ثم خلف عليها عمرو بن تميم فولدت له أسيد والهجوم.<sup>(١)</sup>

وخطب رجل امرأة إلى نفسها، وكانت امرأة برزة قد انكشفت وجهها وراستها، فقالت: إن سألت عني بني فلان أثبتت عني بما يسرك، وبني فلان يثبوتك بما يزيدك في رغبة، وعند بني فلان مني خبر، فقال الرجل: وما علم هؤلاء بك؟ فقالت: في كل قد نكحت، قال: يا ابنة أم، أراك جلتفعة قد خزمتها الخرائم قالت: كلا ولكني جوالاة بالرجل عتريس. والجلتفع: المسن، أكثر ما توصف به الإناث.<sup>(٢)</sup>

#### ٦ - التزين:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن امرأة يقال لها رعدة القشيرية وفدت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت امرأة ذات فصاحة ولسان فقالت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته إنا ذوات الخدور ومحل أزر البعول ومريبات الأولاد ولا حظ لنا في الجيش فعلمنا شيئا يقربنا إلى الله عز وجل فقال: عليكن بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار وغض البصر وخفض الصوت، الحديث وفيه أنها قالت: يا رسول الله إني

(١) الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١١٣٠٦ / مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٤٨٧ / المحر لابن

حبيب ص ٣٩٨

(٢) لسان العرب، مادة: جلفع.

امراة مقينة أقين النساء وأزينهن لأزواجهن فهل من حوب فأثبط عنه ؟ قال لها يا أم رعدة: قينيهن وزينيهن إذا كسدن.<sup>(١)</sup>

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ عَثَرَ أَسَامَةَ بَعْتَةَ الْبَابِ فَشُجَّ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيطِي عَنْهُ الْأَذَى فَتَقَدَّرَتْهُ فَجَعَلَ يَمُصُّ عَنْهُ الدَّمَ وَيَمِجُّهُ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ لَوْ كَانَ أَسَامَةُ جَارِيَةً لَحَلَيْتُهُ وَكَسَوْتُهُ حَتَّى أَنْفَقَهُ.<sup>(٢)</sup>

قال السندي: عثر: من العثرة وهي الزلة أي زلت قدمه فسقط ووقع على عتب الباب (فشج) على بناء المفعول وشجة الرأس والوجه معروفة قوله (أميطي) أزيلسي (الأذى) الدم (فتقدرته) كرهته (ويمجه) أي يرميه من الفم (حتى أنفقه) من نفق بالتشديد إذا زوج وأنفق لغة فيه حتى تميل إليها قلوب الرجال وهذا في المعنى كالشفاعة في النكاح.<sup>(٣)</sup>

وعن عمار بن عمران رجل من زيد الله عن امرأة منهم عن عائشة: أنها شوفت جارية وطافت بها وقالت لعلنا نصطاد بها شباب قريش.<sup>(٤)</sup>

(١) الإصابة لابن حجر، ج ٨ ص ٢٠٤-٢٠٥، ترجمة رقم: ١٢٠٢١ / أسد الغابة لابن الأثير ج ٦ ص ٣٣١ ترجمة رقم ٧٤٤٠

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب النكاح، باب: الشفاعة في التزويج، حديث رقم: ١٩٦٦

(٣) شرح سنن ابن ماجه للسندي ج ٢ ص ٤٧٧

(٤) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٤ ص ٤٩، ما قالوا في الجارية تشوف ويطاف بها، حديث رقم:

قال ابن قتيبة: في حديث عائشة أنها شَوَّفَتْ جاريةً فطافَتْ بها وقالت لعلنا نَصِيدُ بها بعضَ فَيَّانِ قُرَيْشٍ أَي زَيْتِهَا يُقال شَوْفٌ وشَيْفٌ وتَشَوَّفُ أَي تزيِّنُ وتَشَوَّفُ للشَّيءِ أَي طَمَحَ بَصَرَهُ إِلَيْهِ. (١)

وعن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أنهم مروا عليه بجارية قد زينت قال فدعا بها ونظر إليها وأجلسها في حجره ومسح على رأسها ودعا لها بالبركة. (٢)  
وقد مر بنا أن امرأة تزينت وتحضبت فغرت أحد الناظرين إليها وهو أبو الزوائد الأعرابي. (٣)

#### ٧ - الكذب والإشاعات لإنفاق الأيِّم :

الأيامى: الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء، وأصله أياميم، فقلبت لأن الواحد رجل أيِّم سواء كان تزوج قبل أو لم يتزوج. ابن سيده: الأيِّم من النساء التي لا زَوْج لها، بَكْرًا كانت أو نَيِّبًا، ومن الرجال الذي لا امرأة له، وجمع الأيِّم من النساء أَياميم وأيامى، وقد آمت المرأة من زَوْجها تَيِّمُ أَيماً وأيوماً وأيِّمةً ويمةً وتأيَّمت زماناً وأتأمت وأتَيَّمتها: تزوّجتها أَيماً. وتأيِّم الرجلُ زماناً وتأيَّمت المرأة إذا مكَّثا أَياماً وزماناً لا يتزوّجان؛ وأنشد ابن بري:

لقد إمت حتى لامني كلُّ صاحبٍ رجاءً بسلمى أن تَيِّمَ كما إمتُ

(١) غريب الحديث ج ٢ ص ٥٠٩/ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: {شوف}/

لسان العرب، مادة: شوف

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٤ ص ٤٩، ما قالوا في الجارية تشوف ويظاف بها، حديث رقم:

يقال: امرأة أَيْمٌ وقد تَأَيَّمَتْ إذا كانت بغير زَوْج، وقيل ذلك إذا كان لها زوج فمات عنها وهي تُصَلِّحُ للأزواج لأنَّ فيها سُورَةٌ من شَبَابٍ؛ وفي التِّرْيَلِ العَزِيْزُ ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> دَخَلَ فِيهِ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى وَالْبِكْرُ وَالثَّيْبُ، وَقِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ: الْحَرَائِرُ. وَقَوْلُ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْأَيْمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا، فَهَذِهِ الثَّيْبُ لَا غَيْرَ؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

لَا تَنْكِحَنَّ الدَّهْرَ، مَا عِشْتَ، أَيَّمَا مُجْرَبَةً، قَدْ مَلَّ مِنْهَا، وَمَلَّتِ

وَالْأَيْمُ فِي الْأَصْلِ: الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا، بِكْرًا كَانَتْ أَوْ ثَيِّبًا، مُطَلَّقةً كَانَتْ أَوْ مُتَوَفَّى عَنْهَا. <sup>(٢)</sup>

عندما يرى بعض العرب بوار بناقم، وعزوف الأزواج عنهن، وازورارهم عن القرب بساحتهم، ونفوق من حولهم من بنات الأهل والجيران وتزوجهن وإنجاب الكثيرات منهن وتعمهن مع أزواجهن وأولادهن، وأن ابنتهم صارت الوحيدة بين لداها غير متزوجة وأن قطار الزواج قد أذن بالترحل ويخشى عليها أن تدخل في مرحلة الغنوسة ودوامتها، فيفكر بعضهم في إطلاق الشائعات وبث الأراجيف حول ابنتهم، فيطلقون: أن زيدا تقدم لطلب يد ابنتهم فرفضناه، وأن عمرا التمس القرب منا فقبلناه ولكن رفضته ابنتنا فاستجينا لرغبتها في رفضها له وأن فلانا وفلانا منتظرون إشارة منا وموافقة من عندنا حتى يتقدموا لطلب يد كريمتنا وتكون هذه الأقوال لا أصل لها في حقيقة الأمر وإنما اتفكوها إشعالا لسوق ابنتهم وإيهاما لغيرهم من الأسر بأن ابنتهم رائجة السوق وتغيرا براغي الزواج بأن المنافسة على هذه البنت شديدة فيغتر أحدهم ويقع في شباكهم ويظن

<sup>(١)</sup> سورة النور آية ٣٢

<sup>(٢)</sup> لسان العرب مادة: أيم

كثيرون من الأهل أن هذه الشائعات تجعل المفكرين في الزواج يفكرون في أمر هذه الفتاة وحتى بعض المتزوجين يقولون: كيف غفلنا عن هذه الفتاة حتى تراحم عليها الناس فيهرع بعضهم لخطبتها، وهذا الأمر يسمونه عند العرب الاختطاب قال ابن منظور: واختطب القوم فلانا إذ دعوه إلى تزويج صاحبهم، قال أبو زيد: إذا دعا أهل المرأة الرجل إليها ليخطبها فقد اختطبوها اختطابا. قال: وإذا أرادوا تنفيق أيهم كذبوا على رجل فقالوا: قد خطبها فرددناه، فإذا رد عنه قومه قالوا: كذبتم لقد اختطبتموه فما خطب لكم.<sup>(١)</sup>

٨ - حث المرأة أهلها على زواجها واستعجالهم بإدخالها على زوجها:  
أ - حث أهلها على زواجها :

نظرت الشاعرة الأندلسية قسمونة بنت إسماعيل اليهودي وكان أبوها شاعرا واعتنى بتأديبها نظرت في المرأة فرأت جمالها وقد بلغت أوان التزوج ولم تتزوج فقالت:

أرى روضة قد حان منها قطافها      ولست أرى جان يمد لها يدا

فوا أسفا يمضي الشباب مضيعا      ويبقى الذي ما إن أسميه مفردا

فسمعها أبوها فنظر في تزويجها.<sup>(٢)</sup>

ب - استعجالها أهلها بإدخالها على زوجها حين زواجها :

من الأمور التي كان يتبعها بعض نساء العرب عندما يعقد أحد الناس نكاحه على فتاة منهم، ويؤخر أهل البنت إدخالها عليه بعلقة تجهيز البيت، والاستعداد لعمل الوليمة، ويمضي الأهل في تجهيز أقم التي قد يطول زمنها<sup>(٣)</sup> غير واضعين أي اعتبار

(١) لسان العرب مادة خطب ج ٤ ص ١٣٥

(٢) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج ٣ ص ٥٠٣

(٣) مع أن أمر الزواج كان في غاية السهولة والبساطة وبخاصة موضوع البيت والسكن العقبة الكؤود الآن أمام القادمين على الزواج فقد كان الرجل تنصب له خيمة تكون بيتا له ولزوجته . قال ابن قتيبة

لمشاعر ابنتهم التي تكون قد هيأت نفسها لأن تصبح زوجة تنعم مع زوجها، وتمر عبثاً بالساعات بطينة والأيام ثقيلة، والشهور وقد يتجاوز تأخير الأسرة لهذه التجهيزات السنوات، فيضيق صدر الفتاة وينفذ صبرها، فتقول للخواص من صديقاتها قد طال انتظاري لزوجي، وأرى أنه يكفي ما قد تم تجهيزه أو أقول لكم أريد زوجي من غير تجهيز، وفي أمثال العرب قصة فتاة، بلغ بها شوقها للدخول على زوجها وتضجرت من اعتلال أهلها بالانشغال بالتجهيزات فقالت: عِلَّةٌ مَا عَلَهُ أَوْتَادٌ وَأَحْلَهُ، وَعَمَدُ الْمَطْلَبِ. أُبْرِزُوا لَصَهْرِكُمْ ظُلَّهُ؛ قالته جارية زُوِّجَتْ رَجُلًا فَأَبْطَأَ بِهَا أَهْلُهَا عَلَى زَوْجِهَا، وَجَعَلُوا يَعْتَلُونَ بِجَمْعِ أَدْوَاتِ الْبَيْتِ فَقَالَتْ ذَلِكَ اسْتِحْثَانًا لَهُمْ.<sup>(١)</sup>

#### ٩ - الاستعانة بالمراسلات من النساء :

المُرَاسِلُ مِنَ النِّسَاءِ: التي تُرَاسِلُ الحُطَّابَ، وقيل: هي التي فارقها زوجها بأيّ وجه كان، مات أو طلقها. وقيل: المُرَاسِلُ التي قد أُسْتَتْ وفيها بَقِيَّةُ شَبَابٍ، والاسم الرِّسَالُ. وفي حديث أبي هريرة: أن رجلاً من الأنصار تزوج امرأة مُرَاسِلًا، يعني ثيبًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فهلاً بكَرّاً ثَلَاغِهَا وتَلَاغِكَ وقيل: امرأة مُرَاسِلٍ هي التي يموت زوجها أو أَحْسَتْ منه أنه يريد تطليقها فهي تَزِينُ لآخره؛ وأنشد المازني لجرير:

يَمْشِي هُبَيْرَةٌ بَعْدَ مَقْتَلِ شَيْخِهِ      مَشِيَ المُرَاسِلِ أُوذِنَتْ بِطَلَاقِ

: قالوا: بنى على أهله أصله أنه كان من يريد منهم الدخول على أهله ضرب عليها قبة، فقيل لكل داخل بأهله بان. (أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٥٣)

(١) لسان العرب، مادة: ظلل

يقول: ليس يطلب بدم أبيه، قال: المراسل التي طُلقت مرات فقد بَسَّأت بالطلاق أي لا تُباليه، يقول: فهَبيرة قد بَسَّأ بأن يُقتل له قَتيل ولا يطلب بثأره مُعوِّدٌ ذلك مثل هذه المرأة التي قد بَسَّأت بالطلاق أي أنَسَتْ به. (١)

وفي الحديث: أنه دَخَلَ على خَدِيجَةَ خَطَبَهَا، ودَخَلَ عليها مُسْتَنْشِئَةٌ مِنْ مُوَلِّدَاتِ قُرَيْشٍ. قال الأزهري: هي اسم تلك الكاهنة. وقال غيره: المُسْتَنْشِئَةُ: الكاهنة سُمِّيَتْ بذلك لأنها كانت تَسْتَنْشِئُ الأَخْبَارَ أي تَبْحَثُ عنها وتَطْلُبُها، من قولك رجلٌ نَشِيَانٌ لِلخَبِيرِ. وَمُسْتَنْشِئَةٌ يَهْمَزُ ولا يَهْمَزُ. والذَّنْبُ يَسْتَنْشِئُ الرِّيحَ، بالهمز. قال: وإنما هو مَنْ نَشِيتُ الرِّيحَ، غير مهموز، أي شَمِمْتُهَا. (٢)

من أسباب دفع الغنوسة عند العرب الاستعانة بالمراسلات والمستنشئات، فقد يلجأ العانسون من رجال المجتمع إلى النساء اللاتي يتراسلن بين الرجال ومخطوباتهن، وهي طريقة متبعة في الجاهلية واستمرت لما بعد الإسلام، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل أم سليم وغيرها للإتيان بصفات من يريد الاقتران بها (٣) ووظيفة المراسل:

— الإخبار عن وجود أصناف النساء اللاتي هن خلف الجدار وأنواعهن من نساء صغيرات في سن الزواج وآخر مطلقات وأرامل ومغيات وفاقدات.  
— عكس مزايا هؤلاء النسوة من جمال وألوان وأجسام ومزايا أخلاقية ومستوى تعليمي وأدب رفيع، وغيرها من مرغبات الرجال في النساء.

(١) لسان العرب، مادة: رسل

(٢) لسان العرب، مادة: نشأ

(٣) انظر ص من هذا الكتاب.

— إيصال صفات ومزايا الرجال الراغبين في الزواج من هؤلاء النسوة وترغيبهن

فيهم.

— إقناع الممتعات من النساء والفتيات اللاتي يرفضن المتقدمين لهن بأنهن سيندمن على تفريطهن وإضاعتهن هذه الفرصة وإفلات هذا العريس منهن والعجز عن اقتناصه حتى تظفر به غيرك وستذكرين هذا التفريط وتندمين أشد الندم ولن حال المراسل إن لم يكن مقالها يقول ﴿ فَسَدَّ كُرُونًا مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾<sup>(١)</sup>

— كتمان صفات النقص التي يعلمنها عن الزوج المتقدم أو الفتاة التي يود خطبتها لأن قصد المراسل هو اقتران من اتصل بها بمن أوصلته إليه، ومن ثم قد تغض الطرف عن كثير من الأخطاء التي تعلمها، قال يزيد بن الحكم الثقفي ذاكرا هذا الصنف من النساء:

بدا منك غش، طالما قد كتمته كما كتمت داء أئنيها أم مدوي

وذلك أن خاطبة من الأعراب خطبت على ابنها جارية فجاءت أمها أم الغلام لتنظر إليه فدخل الغلام فقال: أأدوي يا أمي؟ والدواية والدواية: جليدة رقيقة تعلق اللبن والمرق.

فقلت: اللجام معلق بعمود البيت؛ أرادت بذلك كتمان زلة الابن وسوء عادته.<sup>(٢)</sup>

وهذا الصنف من النساء لا يزال يوجد في بعض بلاد العالم الإسلامي إلى اليوم وطريقته تتم بأن يعطي الرجل الصفات التي يرغب في توفرها في شريكة حياته وقسيمة

(١) سورة غافر آية ٤٤

(٢) لسان العرب، مادة: دوا

فراشه للمرأة المهتمة بهذه الأمور فتأتيه بقائمة من أسماء النساء المعرفات الأسر اللاتي تعرفهن وأعمارهن ومميزاتهن فينتقي منهن من يشاء ثم ينظر إليها وعندما يكمل المشروع بالنجاح وتمت الزواج يعطي الرجل الخاطبة جعلا من المال.

ومن الأمور التي تقوم مقام المراسلات الآن ما تفعله بعض المجالات ومواقع الإنترنت من عرض لأصناف الراغبين في الزواج من الجنسين وذكر أعمارهم ومميزاتهم مع الاحتفاظ بصورهم بغية إتمام الأمر للمهتمين.

وقد جرت ندوة نشرت في موقع إذاعة الصين الدولية بعنوان : البعض يفضلونها من على الإنترنت، جاء فيها الآتي: أسماء الآلاف من المواقع العربية على الإنترنت تهدف إلى الإسهام في حل مشكلة تفاقمت داخل الوطن العربي وطفقت على السطح في الآونة الأخيرة بشكل بات يفزع الآباء والأمهات، وهي مشكلة الغنوسة فهذه المواقع أصبحت تسهل عملية البحث لراغبي الزواج وتحميمهم في نفس الوقت من التردد والخجل أو الخوف من رفض الجنس الآخر.

وهذه النوعية من المواقع تنتشر في العديد من المجتمعات حول العالم وتساعد الشباب من الجنسين على الوصول إلى نصفهم الآخر ، بعدما اختفت الخاطبة التقليدية كما اختفت أشياء كثيرة اتسم بها الزمن الغابر حلت محلها خاطبة آخر الزمان أو الخاطبة الإلكترونية وذلك وجه آخر للإنترنت.

فليس كل ما فيه سئ وقيح ، برغم أن للإنترنت وجهها آخر مليء بالمشكلات والتعقيدات الصارة إنسانيا وعائليا واجتماعيا إلا أن ذلك لا يمنع وجود وجه آخر أليف نبيل قد يتمكن من حل بعض المشكلات الكبيرة الجاثمة فوق صدر الوطن العربي وهي مشكلة الغنوسة وسواء نجح الإنترنت في ذلك أو لا ونجحت الفكرة أو فشلت فهي على أية حال فكرة جديدة تستحق الدراسة .

والسؤال الآن هل يمكن للإنترنت أن يتحول أيضا إلى خاطبة العصر الإلكتروني ويكون وسيطا ملائما وسريعا بين الشباب والفتيات عبر المحادثات المرئية قبل الزواج ، خاصة في المجتمعات المحافظة كمجتمعاتنا العربية التي تحظر الاختلاط وهل يسهم في حل هذه المشكلة التي أكدتها الإحصاءات :

ويطرح الدكتور محمد حسن غانم --- أستاذ علم النفس بجامعة حلوان - رؤيته حول الغنوسة مؤكدا أنها تمثل ظاهرة خطيرة في المجتمعات النامية والعربية تحديدا ، حيث يعد الزواج سترة للنبت وحفظا لكرامة أسرهما .

أما الدكتور حسن عبد اللطيف فيقول : " مشكلة الغنوسة لها خلفيات عديدة قد تكون أهمها التغيرات التي طرأت على مجتمعاتنا واحتلال النظرة المادية لتفكيرنا ونظام الحياة بشكل عام حتى أصبحت تحكم اختيارات الزواج " ويضيف قائلا " اليوم الفتاة لم تعد تحلم بالفارس الذي يحملها على الحصان الأبيض ولم تعد تهتم بقوة الرجل أو الشكل بل الأقوى هو القادر على توفير حياة مرفهة من جهة أخرى أصبح من الضروري أن تتم الفتاة تعليمها ومن الواضح أنه كلما كبرت ونضجت الفتاة تدقق بشكل أكبر في اختيارها وقد لا ترضى إلا بالصورة الكاملة بعكس نظرة طالبة المدرسة الصغرى التي لا يهتمها سوى ارتداء الطرحة البيضاء والفرحة بليلة العمر إضافة إلى وجود تضارب كبير في المفاهيم فنجد إن المجتمع أصبح متخبطا بين عاداته وتقاليده وبين مفاهيم الحضارة وهذا ينعكس بشكل أو بآخر على الزواج وتأسيس الأسرة وعن الحل لهذه المشكلة يقول الدكتور حسن " لا بد أن يساهم المجتمع بأكمله في حل هذه المشكلة والتوعية بأهداف الزواج الحقيقية بعيدا عن الأحلام والماديات التي قد تضر مستقبل الشباب وتضع أمامهم عوائق كبيرة إلى جانب تنبيه الفتاة كي لا يتسبب تركيزها على مستقبلها العلمي الوظيفي في حرمانها من التفكير في الجانب الأهم من حياتها لا بد إلى يكون هناك نوع من

الموازنة كي لا يطغى جانب على الآخر وتقع الفتاة فريسة للندم على قطار العمر الذي يفوقها . "

يذكر أن بعض المواقع الخاصة بالزواج على شبكة الإنترنت تتبع أسلوبا جديدا لتقريب الشباب والفتيات من خلال غرف الدردشة التي ترفع شعار أسأل حبيبيك كل يوم خمسة أسئلة وأجب عليها بمنتهى الصدق لتتعرف على نصفك الآخر . كل ذلك برغم وجود دراسة بريطانية قامت بها منظمة ريليت أكبر جمعية لتقديم النصائح الزوجية في بريطانيا . ذكرت فيها أن الإنترنت هو أحد الأسباب الرئيسية لانهايار العلاقات الزوجية في بريطانيا .

وتقول المنظمة إن نحو عشرة في المائة من تسعين ألف زوج وزوجة يسعون سنويا لاستشارة المنظمة حول الزواج سنويا أن الإنترنت هو إحدى المشكلات التي يواجهونها . وقالت المنظمة في تقرير لها إن أحد عوامل ذلك هو أن الهوس بالإنترنت يمكن أن يستنفد جزءا كبيرا من الوقت ولا يترك سوى وقت ضئيل للشخص للتفاعل مع شريك حياته ولكن هناك عوامل أخرى من بينها أن الشبكة تتيح للمرأة إمكانية الاتصال بسهولة مع شركائه السابقين . وتقول منظمة ريليت إلى العلاقات الزوجية بين أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين خمسة وعشرين إلى خمسة وثلاثين عاما هي الأكثر عرضة للخطر بسبب الإنترنت، وذلك هو الوجه الآخر له .

هذا عن الغرب أما في بلادنا فكأي فكرة جديدة لها مؤيدوها ومعارضوها . ومن المعارضين شابة ترى أنها لا تقبل أن تتزوج عن طريق الإنترنت فالزواج على حد قولها مشاعر وأحاسيس فكيف يمكن أن أختار زوج المستقبل بهذه الطريقة ، وأعتقد أنه مهما قدم الكمبيوتر من معلومات شخصية الطرف الآخر ، فلن تكفي أبدا ،

ولا يمكن الحكم على شخص من خلالها ، ولا بد أن يقتصر استخدام الإنترنت على المعلومات المفيدة ودون التدخل في الأشياء التي تمس المشاعر والأحاسيس وقال شاب عربي آخر متخصص في مجال الكمبيوتر عن مواقع البحث على شبكة الإنترنت كوسيط في الوصول إلى شريك العمر إنها قد أصبحت منتشرة بصورة كبيرة فمن السهل على أي فتى الدخول على المواقع التي تحتوي العديد من طلبات الزواج للجنسين على الإنترنت .

أما شابة عربية أخرى فترى --- على العكس --- أن استخدام الإنترنت في الزواج أمر جيد ، ويمكن أن يساعد على حل مشكلة العنوسة حيث أن مجتمعنا محافظ ولا يسمح بالاختلاط وتعارف الفتاة بالشاب ولكن إذا تم التعارف عبر الإنترنت يمكن أن يتناقش الطرفان وهو أفضل من أن تخطب الفتاة إنسانا تتزوجه ثم لا يحدث تفاهم وتفسخ الخطبة أو يتم الطلاق المبكر . لذلك فإنني أوافق على الزواج عبر الإنترنت بشدة ، والذي سيقوم بدور الخاطبة في الوقت الحاضر .

يرفض شاب آخر الزواج بهذه الطريقة ويرى أن الفتاة التي تقبل أن تتحدث مع شاب لا تعرفه من خلال الإنترنت وتراسله ، لا يمكن الوثوق فيها لأنها قد تتحدث مع شباب آخرين بهدف التسلية ولكن عند اختيار زوجة المستقبل فلا بد من العودة للوسائل التقليدية ودخول البيوت من أبوابها وليس من شبكات الإنترنت. (١)

ومن أمثلة استعمال الإنترنت في الخطوبة ما جاء في موقع : إسلام أون لاين:<sup>(١)</sup>  
الغنوسة شبح يطارد كثيرا من الفتيات في الوطن العربي، وتبدأ الأسرة في البحث عن عريس لابنتها، ويقول المثل العربي الشائع: "أخطب لابنتك ولا تخطب لابنك"، وقال صلى الله عليه وسلم "من كان عنده بنت أو بنتان أو أخت أو أختان أو أكثر فرباهن وعلمهن وزوجهن دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب".

والبحث في الإنترنت عن فرص الزواج أو شريك العمر أصبح ظاهرة في الخليج، فبعض الأسر تقوم بالبحث عن مواقع الزواج الإسلامي للبحث عن عريس مناسب لابنتهم ولكن بعض الخطابات في السعودية استفدن من الكمبيوتر والإنترنت، ويستخدمن هذه التقنية في رصد بيانات عن المتقدم للزواج ولا يطلع أحد على هذه البيانات إلا الجادون في الزواج ويتم حفظ صورة الخاطب على موقع على الديسك (لتراد الفتاة) وتتعرف على شريك حياتها المنتظر.

وتقوم الخاطبة في الغالب بتلقي طلبات الزواج من الرجال والنساء ثم تسجيلها في دفتر أو إدخال هذه البيانات في أشرطة خاصة وتعطي المواصفات المطلوبة في الشريك أو الشريكة من حيث الوضع الاجتماعي والمادي والمستوى الثقافي والتعليمي وتقوم الخاطبة بتدوين مواصفات الفتاة ووضعها الاجتماعي وكذلك تفعل مع الشريك المتقدم للزواج وفق شروط معينة قد يجدها مخزنة في الكمبيوتر وللتأكد من راغبي الزواج يسدفع المتقدم أو المتقدمة للبحث له عن زوج أو زوجة مبلغا يتراوح ما بين ألف ريال سعودي مقابل إتمام كل زواج.

<sup>(١)</sup> الرياض - صالح عبد الغفار - إسلام أون لاين. نت / ١٤-٧-٢٠٠١ / الكمبيوتر يناقش الخاطبة

والبعض يعرض بناته للزواج من الرجل المناسب أو مساعدته في إيجاد زوج لهن يشترط فيه حسن الخلق والاستقامة والبعض يبحث عن زوجة ثانية لمرض زوجته، وفي الغالب لا يقدم أي مبالغ للوسيط (الخطابة) إلا بعد إتمام الزواج.

وتقول إحدى الخطابات: عندما يتصل بي شخص أسجل معلوماته وحالته الاجتماعية والاقتصادية ومستواه التعليمي وأضع هذه البيانات وأدخلها في الكمبيوتر وعندما أتأكد من صحة هذه المعلومات المقدمة لي عن الخطيب ويتم ذلك بالسؤال من الأقارب والمعارف أو بواسطة زوجي وعند التأكد من صدقه يتم البحث له عن شريكة حياته دون ذكر الاسم أو العنوان للخطاب ويتم حضور الفتاة مع محرم لها وأهلها عندي أو عندهم في البيت ويتم الرؤية الشرعية وإذا كان التوفيق من الله وتم الزواج فإني آخذ حقي وهو ألفان ريال بعد إتمام الزواج وتضيف: في الغالب يطلب الرجال المتعلمون موظفة أو مدرسة أما رجال الأعمال والأثرياء فإهم يفضلون غير الموظفة.

#### ١٠ - اللجوء إلى الخداع والتفجير واستبدال العانس بغيرها:

قد يكون لإحدى الأسر عدد من البنات فيهن الجميلة الجملاء والقيحة الشوهاء، والسليمة المعافاة، والمعاقة المتلافة، وتكون هؤلاء الأخوات شقيقات وقد يزيد الأمر سواء إن كانت هذه الفتيات بنات لعلات مختلفات فيزداد التباين بين هذه الفتيات اتساعاً فيضاف إلى التفاوت بينهن التفاوت بين أمهاتهن فقد تكون إحداهن مهيبة<sup>(١)</sup> والأخرى هجينة<sup>(٢)</sup> وقد يكون جميع البنات على درجة من الجمال والغنى إلا أن الذي يفرق بينهن هو التفاوت في الأمهات وعند اشتداد غنوسة بعض الفتيات يلجأ أولياء

(١) المهيبة الحرة، والمهانر الحرائر، وهي ضد السرائر. [لسان العرب، مادة: مهر]

(٢) المهجين: اللئيم، وعربي ولد من أمة، أو من أبوه خير من أمه ج: هُجِنَ وهُجِنَاءَ وهُجِنَانٌ ومُهَاجِنٌ ومُهَاجِنَةٌ، وهي هجينة. [القاموس المحيظ، للفيروز آبادي، باب التون. فصلُ الماء.]

أمورهن إذا كان لأسرة من الأسر عدد من البنات الرائجات وبينهن واحدة كاسدة السوق لقبحها أو كبرها وتقدم سنها أو لإعاققتها أو لأنها هجينة يلجئون إلى الخداع والتغريب فعندما يتقدم أحد الخطاب لهذا الأب طالبا منه أن يزوجه إحدى بناته المهيرات وأن يجنيه الهجينات ويكرر هذه الأمر ويحدد له البنت التي يريدتها يوافق الأب على ذلك، ومن ثم يتم عقد النكاح وعند دخول البنت على زوجها يدخل أبوها غيرها من أخواتها الهجينات<sup>(١)</sup> لعلم الأب بتعسر زواج الهجينات ويسر وسهولة زواج المهيرات، وقد يستحي الزوج ويقبل بهذا الأمر ويوافق على استبدال هذه الفتاة بأختها فيطلق أختها ويعقد له عليها ويتم الزواج وقد يرفض بشدة ومن الأمثلة لذلك: عن أبي الوضين أن رجلا تزوج إلى رجل من أهل الشام ابنة له ابنة مهيرة فزوجه وزف إليه ابنة له أخرى بنت فتاة فسألها الرجل بعد ما دخل بها ابنة من أنت؟ فقالت: ابنة فلانة تعني الفتاة فقال: إنما تزوجت إلى أبيك ابنة المهيرة فارتفعوا إلى معاوية بن أبي سفيان فقال: امرأة بامرأة وسأل من حوله من أهل الشام فقالوا له: امرأة بامرأة فقال الرجل لمعاوية: ارفعنا إلى علي بن أبي طالب فقال: اذهبوا إليه فأتوا عليا فرفع علي شيئا من الأرض وقال: القضاء في هذا أيسر من هذا هذه ما سقت إليها بما استحلتت من فرجها وعلى أبيها أن يجهرز

(١) قال محمد بن السائب الكلبي: وكانوا — أي العرب في الجاهلية — يخطبون المرأة إلى أبيها، أو إلى أخيها، أو عمها، أو بعض بني عمها. وكان يخطب الكفاء إلى الكفاء. فإن كان أحدهما أشرف من الآخر في النسب رغب له في المال. وإن كان هجينا خطب إلى هجين فزوجه هجينة مثله. ويقول الخاطب إذا أتاهم: أنعموا صباحا، ثم يقول: نحن أكفأؤكم ونظراؤكم، فإن زوجتمونا فقد أصبنا رغبة وأصبتمونا، وكنا لصهركم حامدين، وإن رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين. [الملل والنحل، لأبي

الأخرى بما سقت إلى هذه ولا تقرها حتى تنقضي عدة هذه الأخرى، قال: وأحسب أنه جلد أباه أو أراد أن يجلده.<sup>(١)</sup>

فعليك أيها الأب أن تنقي أم أولادك حتى لا تكون سببا في عنوسة بناتك.

### ١١ - وجود ذاكرين للأسر وواصفين لجمال النساء :

يكون الذاكرون للأسر الواصفون لجمال النساء من الرجال والنساء على

السواء وعلى التفصيل الآتي:

#### أ - الذاكرون للأسر :

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من وجود أفراد من الجنسین يقومون بالإشارة إلى الأسر التي يرون أنها قد حازت قصب السبق من الحسب والدين والأخلاق والأدب فإن انضاف إلى ذلك الجمال فقد تم المراد واكمل المرجو فيقوم هذا الصنف من الناس بتوجيه وإرشاد الراغب في الزواج بأن عليك أن تتزوج بنت فلان ويكون هذا الواصف لم ير هذه البنت ولا يعرف عمرها وإنما يعرف أباه وأسرته ونبلهم وكرم أرومتهم وقد تكون هذه الأسرة في لحظة قول هذا الكلام تكون بناتها قد تزوجت أو أن الكبار منهن قد تزوجن وبقيت بنات صغار دون سن الزواج فيرى هؤلاء الواصفون أن عليك اختيار هذه الأسرة ذات الأصل والفصل ثم الاختيار والانتقاء من فتياتها فلا بد أنك ستظفر بمن تريد وتقتربن بمن تود من بناتها، لأنهم أدبوا بناتهم فأحسنوا الأدب وربوا فأحسنوا التربية، وروضوا فأحسنوا الرياضة قال أحد الواصفين لمكانة إحدى الأسر دالا وناصحا ومشيرا على الراغبين في الزواج وقد سجل ذلك شعرا فقال :

يا أيُّها الرَّأكِبُ، ذُو الثَّبَاتِ      إِنَّ كُنْتَ تَبْغِي صَاحِبَ البَاءَاتِ<sup>(١)</sup>

(١) كثر العمال، حديث رقم: ١٤٥١٣

فَاعْمِدْ إِلَى هَاتِيكُمُ الْأَيَّاتِ<sup>(١)</sup>

ب - الواصفون من النساء :

عن صالح بن كيسان قال : رأيت امرأة بالمدينة يقال لها حواء، كانت لها سقيفة يتحدث إليها رجالات قريش، فجاءها ذات يوم مصعب بن الزبير، وعمرو بن سعيد بن العاص، وابن لعبد الرحمن بن أبي بكر، فقالوا : يا خالة قد خطبنا نساء من قريش، ولسنا ننتفع إلا بنظرك إليهن، فأرشدنا بفضل علمك فيهن، فقالت لمصعب: يا ابن أبي عبد الله ومن خطبت؟ قال: عائشة بنت طلحة، قالت: فأنت يا ابن الصديق؟ قال: أم القاسم بنت زكريا بن طلحة. قالت: فأنت يا ابن أبي أحيحة؟ قال: زينب بنت عمرو بن عثمان، فقالت: يا جارية عليّ بمنقلبي - تعني خفيها - فأنتها بهما فخرجت ومعها خادم لها، فأنت عائشة بنت طلحة، فقالت: مرحبا بك يا خالة. فقالت: يا بنية إنا كنا في مأدبة لقريش فلم تبق امرأة لها جمال إلا ذكرت، وذكر جمالك، فلم أدر كيف أصفك فتجردني لأنظرك، فألقت درعها ثم مشت فارتج كل شيء منها، ثم أقبلت على مثل ذلك، فقالت: فذاك أبي وأمي خذي ثوبك، وأنتهن جميعا على مثل ذلك، ثم رجعت إلى السقيفة فقالت: يا ابن أبي عبد الله ما رأيت مثل عائشة بنت طلحة قط، ممتلئة الترائب زجاء العينين، هدبة الأشفار، محطوطة المتنين، ضخمة العجيزة، لقاء الفخذين، واضحة الثغر، نقية الوجه، فرعاء الشعر، إلا أني رأيت خلتين هما أعيب ما رأيت فيها أما إحداهما فيواربها الخف وهي عظم القدم والأخرى يواربها الخمار، وهي عظم الأذن، وأما أنت يا ابن أحيحة،

(١) الباءُ التَّنْكَاحُ، يقال: فُلَانٌ حَرِيصٌ عَلَى الْبَاءِ وَالْبَاءَةُ وَالْبَاهُ، بِالْهَاءِ وَالْقَصْرِ، أَي عَلَى النِّكَاحِ؛ وَالْبَاءَةُ

الوَاحِدَةُ وَالْبَاءُ الْجَمْعُ، وَتُجْمَعُ الْبَاءَةُ عَلَى الْبَاءَاتِ. [لسان العرب، مادة: بوا]

(٢) لسان العرب، مادة: بوا

فما رأيت مثل زينب بنت عمرو فراهة قط، إلا أن في الوجه ردة، ولكن مشيرة إليك بأمر تستأنس إليه وهي ملاحه تعتر بها، وأما أنت يا ابن الصديق فوالله ما رأيت مثل أم القاسم، وما شبهتها إلا بخوط بانه تشني، أو خشف يتقلب على رمل،<sup>(١)</sup> فتزوجوهن.<sup>(٢)</sup>

### ج - الواصفون من الرجال :

#### - هيت يصف امرأة لعبد الله بن أبي أمية :

عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَهَا وَفِي الْبَيْتِ مُخَنَّثٌ فَقَالَ الْمُخَنَّثُ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةٍ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ الطَّائِفَ غَدًا أَذْكَأُ عَلَى بِنْتِ غَيْلَانَ فَإِنَّهَا تُقْبَلُ بِأَرْبَعٍ وَتُدْبَرُ بِخَمَانٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدْخُلَنَّ هَذَا عَلَيْكُمْ.<sup>(٣)</sup>

قال ابن حجر رحمه الله تعالى : ذكر ابن إسحاق في المغازي أن اسم المخنث في حديث الباب مائع وهو بمشاة وقيل بنون ، فروي عن محمد بن إبراهيم التيمي قال " كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الطائف مولى لخالته فاخنة بنت عمرو بن عانذ مخنث يقال له مائع يدخل على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ويكون في بيته لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يفطن لشيء من أمر النساء مما يفطن له الرجال ولا

(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةَ الْمَرْأَةَ فَتَنَعْتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا. [صحيح البخاري: كتاب النكاح باب لا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةَ الْمَرْأَةَ فَتَنَعْتَهَا لِزَوْجِهَا، حديث رقم: ٤٨٣٩ / مسند الإمام أحمد: مسند عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ٤٠٠٩]

(٢) المحاسن والأضداد للجاحظ ص ١٨٩ - ١٩٠

(٣) صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: ما ينهى من دخول المشبهين بالنساء على المرأة، حديث رقم: ٤٨٣٤ / صحيح مسلم: كتاب: السلام، باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب.

أن له إربة في ذلك، فسمعه يقول لخالد بن الوليد : يا خالد إن افتحتم الطائف فلا تنفلتن منك بادية بنت غيلان بن سلمة، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان،<sup>(١)</sup> فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع ذلك منه : لا أرى هذا الخبيث يفطن لما أسمع، ثم قال لنسائه : لا تدخلن هذا عليكن ، فحجب عن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم " وحكى أبو موسى المدني في كون ماتع لقب هيت أو بالعكس أو أهما اثنان خلافا ، وجزم الواقدي بالتعدد فإنه قال : كان هيت مولى عبد الله بن أبي أمية ، وكان ماتع مولى فاختة ، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم نفاهما معا إلى الحمى ، وذكر الباوردي في " الصحابة " من طريق إبراهيم بن مهاجر عن أبي بكر بن حفص " أن عائشة قالت لمخنث كان بالمدينة يقال له أنه بفتح الهمزة وتشديد النون : ألا تدلنا على امرأة نخطبها على عبد الرحمن بن أبي بكر ؟ قال : بلى ، فوصف امرأة تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أنه اخرج من المدينة إلى حمراء الأسد وليكن بها متلك " والراجح أن اسم المذكور في حديث الباب هيت ، ولا يمتنع أن يتواردوا في الوصف المذكور ، ووقع في أول رواية الزهري عن عروة عن عائشة عند مسلم " كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الإربة ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة " الحديث ، وعرف من

(١) قال النووي: قال العلماء: وإخراجه ونفيه كان لثلاثة معان: أحدها المعنى المذكور في الحديث أنه كان يظن أنه من غير أولى الإربة، وكان منهم، ويتكلم بذلك. والثاني وصفه النساء ومحاسنهن وعوراتهن بمحضرة الرجال، وقد فهمي أن تصف المرأة لزوجها، فكيف إذا وصفها الرجل للرجال؟ والثالث أنه ظهر له منه أنه كان يطلع من النساء وأجسامهن وعوراتهن على ما لا يطلع عليه كثير من النساء، فكيف الرجال لا سيما على ما جاء في غير مسلم أنه وصفها حتى وصف ما بين رجليها أي فرجها وحواليه. [مسلم بشرح النووي (طبعة دار الباز) ج ٩ ص ٥٨٦٩]

حديث الباب تسمية المرأة وأما أم سلمة والمخنث بكسر النون وبفتحها من يشبه خلقه النساء في حركاته وكلامه وغير ذلك ، فإن كان من أصل الخلقة لم يكن عليه لوم وعليه أن يتكلف إزالة ذلك ، وإن كان بقصد منه وتكلف له فهو المذموم ويطلق عليه اسم مخنث سواء فعل الفاحشة أو لم يفعل ، قال ابن حبيب : المخنث هو المؤنث من الرجال وإن لم تعرف منه الفاحشة ، مأخوذ من التكرس في المشي وغيره .

وأخرج أبو داود من حديث أبي هريرة " أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بمخنث قد خضب يديه ورجليه فقبل: يا رسول الله إن هذا يتشبه بالنساء، فنفاه إلى البقيع، فقيل ألا تقتله فقال: إني هيت عن قتل المصلين" . ووقع في مرسل ابن المنكدر أنه قال ذلك لعبد الرحمن بن أبي بكر فيحمل على تعدد القول منه لكل منهما : لأخي عائشة ولأخي أم سلمة. والعجب أنه لم يقدر أن المرأة الموصوفة حصلت لواحد منهما، لأن الطائف لم يفتح حينئذ، وقتل عبد الله بن أبي أمية في حال الحصار، ولما أسلم غيلان بن سلمة وأسلمت بنته بادية تزوجها عبد الرحمن بن عوف فقدر أنها استحضت عنده وسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المستحاضة، وتزوج عبد الرحمن بن أبي بكر ليلتى بنت الجودي وقصته معها مشهورة، وقد وقع حديث في سعد بن أبي وقاص أنه خطب امرأة بمكة فقال: من يخبرني عنها؟ فقال مخنث يقال له هيت: أنا أصفها لك. فهذه قصص وقعت هيت. قوله (إن فتح الله لكم الطائف غدا) وقع في رواية أبي أسامة عن هشام في أوله " وهو محاصر الطائف يومئذ " قوله ( فعليك ) هو إغراء معناه احرص على تحصيلها وإلزامها. قوله ( غيلان ) في رواية حماد بن سلمة " لو قد فتحت لكم الطائف لقد أريتك بادية بنت غيلان " واختلف في ضبط بادية فالأكثر بموحدة ثم تحتانية وقيل بنون بدل تحتانية حكاه أبو نعيم، ولبادية ذكر في المغازي، ذكر ابن إسحاق أن خولة بنت حكيم قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إن فتح الله عليك الطائف أعطني حلي بادية بنت غيلان

وكانت من أحلى نساء ثقيف ، وغيلان هو ابن سلمة بن معتب بمهملة ثم مشاة ثقيلة ثم موحدة ابن مالك الثقفي، وهو الذي أسلم وتحتة عشر نسوة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار أربعاً ، وكان من رؤساء ثقيف وعاش إلى أواخر خلافة عمر رضي الله عنه. قوله ( تقبل بأربع وتدبر بثمان ) قال ابن حبيب عن مالك معناه أن أعكافها ينعطف بعضها على بعض وهي في بطنها أربع طرائق وتبلغ أطرافها إلى خاصرتها في كل جانب أربع، ولإرادة العكن ذكر الأربع والثمان. فلو أراد الأطراف لقال بثمانية.

قال أبو عبد الله <sup>(١)</sup> تقبل بأربع يعني بأربع عكن بطنها فهي تقبل بمن، وقوله وتدبر بثمان يعني أطراف هذه العكن الأربع لأنها محيطة بالجانب حين يتجدد . ثم قال : وإنما قال بثمان ولم يقل بثمانية - وواحد الأطراف مذكر - لأنه لم يقل ثمانية أطراف . وحاصله أن لقوله ثمان بدون الهاء توجيهين إما لكونه لم يصرح بلفظ الأطراف وإما لأنه أراد العكن، وتفسير مالك المذكور تبعه فيه الجمهور، قال الخطابي: يريد أن لها في بطنها أربع عكن فإذا أقبلت رؤيت مواضعها بارزة متكسرا بعضها على بعض وإذا أدبرت كانت أطراف هذه العكن الأربع عند منقطع جنبها ثمانية. وحاصله أنه وصفها بأنها مملوءة البدن بحيث يكون لبطنها عكن وذلك لا يكون إلا للسمينة من النساء، وجرت عادة الرجال غالباً في الرغبة فيمن تكون بتلك الصفة، وعلى هذا فقوله في حديث سعد " إن أقبلت قلت تمشي بست، وإن أدبرت قلت تمشي بأربع " كأنه يعني يديها ورجليها وطرفي ذاك منها مقبلة وردفيها مدبرة، وإنما نقص إذا أدبرت لأن الثدين يحتجان حينئذ. وذكر ابن الكلبي في الصفة المذكورة زيادة بعد قوله وتدبر بثمان " بتغر كالأقحوان، إن قعدت تشتت، وإن تكلمت تغنت. وبين رجليها مثل الإناء المكفوء " مع

(١) أي البخاري رحمه الله تعالى.

شعر آخر. <sup>(١)</sup> وزاد المديني من طريق يزيد بن رومان عن عروة مرسلا في هذه القصة " أسفلها كتيب وأعلاها عسيب"، <sup>(٢)</sup> قال المهلب: إنما حجبه عن الدخول إلى النساء لما سمعه يصف المرأة بهذه الصفة التي تهيح قلوب الرجال فمنعه لئلا يصف الأزواج للناس فيسقط معنى الحجاب.

وفي سياق الحديث ما يشعر بأنه حجبه لذاته أيضا لقوله " لا أرى هذا يعرف ما هاهنا " ولقوله " وكانوا يعدونه من غير أولى الإربة، فلما ذكر الوصف المذكور دل على

<sup>(١)</sup> ذكر الواقدي وابن الكلبي: أن هيتا المخنث قال لعبد الله ابن أبي أمية المخزومي وهو أخو أم سلمة لأبيها وأمه عاتكة عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له وهو في بيت أخته أم سلمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع: إن افتتحت الطائف فعليك ببادية ابنة غيلان بن سلمة الثقفي فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان مع ثغر كالأقحوان إن جلست تبنت وأن تكلمت تغنت بين رجلها مثل الإناء المكفوء وهي كما قال قيس بن الخطيم:

تغترف الطرف وهي لاهية	كأنما شف وجهها نرف
بين شكول النساء خلقتها	قصد فلا جبلة ولا قصف
تنام عن كبر شأنها فإذا	قامت رويدا تكاد تنقص

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لقد غلغلت النظر إليها يا عدو الله ثم أجلاه عن المدينة إلى الحمى قال: فلما افتتحت الطائف تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له بزبهة. [التمهيد لابن عبد البر، ج

٢٢ ص ٢٧٦]

<sup>(٢)</sup> قال: إن فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك ببادية بنت غيلان بن مغيث، فإنها مبتلة هيفاء، شعوع نجلاء، إن قامت تشتت، وإن قعدت تبنت، وإن تكلمت تغنت، تقبل بأربع وتدبر بثمان، مع ثغر كالأقحوان، وثندي كالرمان، أعلاها قضيب، وأسفلها كتيب. (تحفة العروس ص ٢٢٨)

أنه من أولي الإربة فنفاه لذلك "ويستفاد منه حجب النساء عن يفتن لحاسنهن، وهذا الحديث أصل في إبعاد من يستراب به في أمر من الأمور.<sup>(١)</sup>  
- رجل يصف امرأة لسعد بن أبي وقاص :

عن مجاهد عن عامر بن سعد قال: خطب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه امرأة بمكة فقال: ليت عندي من رأها، ومن يخبرني عنها، فقال رجل محنت: أنا أنعتها لك: إذا أقبلت قلت: تمشي على ست، وإذا أدبرت قلت: تمشي على أربع.  
قال ابن الأثير: إن سعداً خطب امرأة بمكة فقيل: إنها تمشي على ست إذا أقبلت، وعلى أربع إذا أدبرت يعني بالسَّت يديها وتذييها ورجليها: أي أنها لعظم تذييها ويديها كأنها تمشي مكبة. والأربع رجلاها وإلتاها، وأهما كادتا تمسان الأرض لعظهما، وهي بنت غيلان الثقيفة التي قيل فيها: تُقبل بأربع وتُدبر بثمان، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف.<sup>(٢)</sup>

وقال ابن قتيبة: وأما قوله: إذا أقبلت تمشي على ست، وإذا أدبرت قلت: تمشي على أربع، فإنه يريد أنها عظيمة الخلق فإذا أدبرت رأيتها كالمكية لعظم أردافها، فقلت: تمشي على أربع، وإذا أقبلت رأيتها كالمستلقية، وتحرك منها ثدياها لعظهما وارتفاعهما، ومنكباها ورجلاها، فكأنها بحركة هذه الست تمشي على ست.<sup>(٣)</sup>

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٤٠٣ - ٤٠٦

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، مادة: {ستت} / لسان العرب، مادة: ست

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة ج ١ ص ٣٩١ - ٣٩٢

## المبحث الثاني

### دفع الغنوسة عند غير العرب

- ١- الكتابة إلى الصحف
- ٢- الاتصال بالسماصرة
- ٣- استعمال المثيرات كالأصباغ والروائح
- ٤- تكوين نقابات وجمعيات تساهم في حل المشكلة
- ٥- تعليق ورقة على الصدر

## المبحث الثاني

## دفع الغنوسة عند غير العرب

كانت أوروبا تمارس دفع الغنوسة وذلك قبل طوفان الإباحية الذي اجتاحتها الآن، فالآن الغنوسة في أوروبا ليست مشكلة، لإمكانية قضاء الأوطار في أي لحظة ومع من يشاء أحدهم سواء أكان زنا أو لواطاً أو سحاقاً، بينما كانت أوروبا في السابق لها اهتمام بالزواج وتعظيم قدر العفة وتنتهي عن الزنا وتعاقب الزانيات وتمارس تعدد الزوجات.<sup>(١)</sup>

وكثرة النساء لا يعاني منها العالم الإسلامي فحسب فكذلك العالم الغربي، ففي فرنسا مثلاً: أكد تقرير المعهد الفرنسي للإحصاء تراجع نسب الزواج بين الفرنسيين للعام الثاني على التوالي وكانت النسبة قد سجلت انخفاضاً عام ١٩٩٢ م - حيث تدنت بمقدار ٣%، وارتفعت نسب رفض الزواج في الثلث الأول من عام ١٩٩٣ م حيث بلغ الانخفاض ٧% عن الفترة نفسها من عام ١٩٩٢ م كما أن نسبة ٥٠% من الزيجات التي تمت عام ١٩٩٣ م كانت غير فرنسية خالصة، وإنما زيجات مختلطة، أغلبها لرجال من شمال أفريقيا "تونس، المغرب، الجزائر" وسيدات فرنسيات.

ولم تمثل نسب زواج الفرنسيين من أوروبيين أكثر من ٢٥% من مجموع الزيجات. كما أن ثلث النساء اللاتي بلغن الخامسة والعشرين عازبات في مقابل امرأة واحدة من كل بلغن الخامسة والثلاثين لم تتزوج، بعد وتبذل الحكومة الفرنسية جهوداً كبيرة لتشجيع الشبان والشابات على الزواج، حيث تخصص لهم إعانات للطفلين الأول والثاني

(١) انظر غنية المحتاج إلى بناء الأسرة وأنواع الزواج

بشكل تصاعدي ولكن لم تفلح هذه الجهود في إقناع الفرنسيين بالإقبال على الزواج.  
(١)

وكان دفع الغنوسة عند غير العرب من أعلاج أوروبا ونحوهم على النحو التالي:

### ١- الكتابة إلى الصحف: (٢)

أخذت بعض النساء تعلن عن رغبتها عن الزواج على الجرائد ومن أمثلة هذه

الإعلانات المطالبة بـ :

#### أ- سن قانون يبيح تعدد الزوجات

بعثت فتاة إلى رئيس إحدى الصحف بالخطاب الآتي: إنني أبلغ من العمر الثانية

والثلاثين، وأعيش من كدي وثمره مجهودي في الحياة، وليس لي ما أشكو منه إلا أنني

محرومة من الأطفال، وأنت تعلم يا سيدي أن عدد الرجال بعد الحرب العالمية الأولى

(١٩١٤م - ١٩١٨م) قد انخفض، ولا سبيل إلى التوازن ما دام للرجل امرأة واحدة،

أفليس من الواجب على الحكومة إذن أن تسن قانونا تبيح فيه تعدد الزوجات.

وما دمت أحدثك عن نفسي فأقسم لك أنني إذا سن هذا القانون وشاركني في

حياة زوجي نساء أخريات لن تجد الغيرة إلى قلبي سبيلا بل لن أطمح إلى معرفة الزوجة أو

الزوجات اللاتي يتخذهن بعلي، بل حسبي أن تكون حياتي معه شريفة، وأن أرزق منه

أطفالا تقر بهم عيني. (٣)

(١) نقلا عن كتاب: تفشي الغنوسة - أسبابها - آثارها، الباب السابع من كتاب تعدد الزوجات.

تأليف: الشيخ إبراهيم بن محمد الضيعي

(٢) بدأت بعض المجلات في بعض البلدان العربية تكتب عن خاطب يرغب في زوجة صفاها كذا وكذا

ويذكر ما يريد من صفات، وبنيت ترغب في زوج صفاته كذا وكذا وتذكر ما تشاء من صفات.

(٣) الزواج لكحالة ج ١ ص ١٢٥ - ١٢٦ وعزاه مجلة فتاة الشرق السنة ٢٨ عدد ٨

## ب - الإغراء بالمال:

كُتبت إحدى النساء عن نفسها قائلة: إنها بنت يتيمة ورثت عن أبيها وعن جدها أموالاً طائلة وجمالها غير باهر، على أنها مقبولة، أما عيناها فجذابتان، ترغب الاقتسران بفقر جميل جاهل. (١)

وقالت أخرى: إنها ذات حسب ونسب وجمال فتان، ومن يتقدم لخطبتها مستحقاً لقبض نصف مليون كرون. (٢)

وكتبت ثالثة: إني أرملة في سن الأربعين، أحمل شهادات من زوجي المرحوم بحسن أخلاقي كل ثروتي وقف لمن يقترن بي، بشرط أن يكون أرملاً مثلي، حاملاً من زوجته المرحومة نفس الشهادات المعلنة بأمانته وإخلاصه. (٣)

٢ - الاتصال بالسماسرة:

أوضحت إحصائيات أجريت في النمسا عقب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م - ١٩١٨م) أن زيادة النساء بلغت حداً جعلهن يعلن عن أنفسهن للزواج بأحد الرجال. وأما اللواتي قطعن سن الثلاثين وهن من الموسرات فإنهن يسعين للزواج بواسطة سماسرة محصنين يتعاطون أجره باهظة ثمن أتعابهم. (٤)

## ٣ - استعمال المثريات كالأصباغ والروائح:

طرح في البرلمان الإنجليزي سنة ١٧٧٠م اقتراح طلب مناقشة النواب فيه وإقراره، وقد وافق عليه جميع الأعضاء بدون استثناء وأضافوه إلى مواد قانون الدولة

(١) الزواج لعمر كحالة ج ١ ص ٣٢١، وعزاه مجلة الأخلاق بنيويورك سنة ١٩٢٣م

(٢) الزواج لعمر كحالة ج ١ ص ٣٢١، وعزاه مجلة الأخلاق بنيويورك سنة ١٩٢٣م

(٣) الزواج لعمر كحالة ج ١ ص ٣٢١، وعزاه مجلة الأخلاق بنيويورك سنة ١٩٢٣م

(٤) الزواج لعمر كحالة ج ١ ص ٣٢٠ - ٣٢١

العام، وهو : كل امرأة مهما كان هويتها ومترلتها وسنها، وكل امرأة سواء أكانت متزوجة أو أرملة أو صبية، أو فتاة بعد طبع ونشر هذه المادة في الجريدة الرسمية تحاول بواسطة الروائح العطرة وطلاء الخدين بالأحمر، أو بالأدهنة المختلفة، أو بواسطة الشعر المستعار، أو الحذاء العالي الكعيب، استهواء أحد رعايا صاحبة الجلالة للتزوج منها تعاقب كخداعة مغرية، والحكومة تفسخ كل زواج جاء عن طريق الاستهواء والاجتذاب بواسطة التبرج والروائح العطرية التي تؤثر على شعوره وتجعله ينقاد لها طائعا، ويجوز من الآن فصاعدا استعمال الروائح العطرية في المآتم فقط لأنه لا يخطر ببال أن المرأة مهما كانت فاسدة الأخلاق تبحث لها عن فريسة توقعها في شركها وهي في حلة الحزن والأسى من الرجال الذين يحضرون الجنازة.<sup>(١)</sup>

#### ٤ - تكوين نقابات وجمعيات تساهم في حل المشكلة :

بلاد أوروبا هي بلاد العجائب والغرائب ، تجد فيها كل ما يخطر ببالك ، فالبغاء الذي كان يعتبر في السابق انحرفا قبل عقود من الزمان صار لا غبار عليه ، والبغايا اللاتي يجب عليهن أن يظأن رؤوسهن نجدهن يرفعنها عالية ويسيرن مظاهرات في الطريق يطالبن باحترامهن وتوفير حقوقهن المهضومة والاعتراف بشرف المهنة وتجلى ذلك في ثورة الداعرات التي اجتاحت فرنسا وغيرها من الدول يطالبن بالاحترام الاجتماعي ووضع حد لاضطهاد رجال الأمن هن وإعادة فتح الفنادق المعدة للبغاء. وقد قام ثمانون منهن بمظاهرة داخل مدينة ليونز ثم دخلن إحدى الكنائس واعتصمن فيها ولقين الدعم والتأييد من جماعة ذكور شاذين. وكذلك اعتصم أكثر من خمسمائة مومس في باريس في

(١) الزواج لعمر كحالة ج ١ ص ٣٢١ ، وعزاه لمجلة الأخلاق بنيويورك سنة ١٩٢٣ م

إحدى كنائس العاصمة ، وقامت مجموعة أخرى باحتلال كنيسة أخرى وهن يطالبن بما أسميهن بحقوق المهنة وحماتها. (١)

وكذلك القبيحات من النساء والدميمات وهن غالبا من النساء العوانس أعلن عن تكوين جمعية خاصة هن تعنى بحقوقهن وتعكس بعض فضائلهن وخفايا مميزاتهن ، التي غابت عن الرجال الذين ينظرون إلى الجمال فقط، وهن يرين أنفسهن أفضل من النساء الجميلات لأن الجميلات متكبرات ومتعجرفات، وهن خلاف ذلك، فعلى الراغب في الزواج أن يتزوج إنسانا ذا خلق ولا يتزوج دمية يراعي فيها الجمال المحض، فالجميلة هي الدمية وهن ذوات الأخلاق. (٢)

٥ - تعليق ورقة على الصدر :

عندما توشك الفتاة في سيام أن تصير عانسا، تعلق على صدرها ورقة يستدل منها على أنها لا تزال بكرا، فتصبح في عهدة الملك الذي يعنى عناية خاصة بتزويجها، فيطلق سراح أي سجين يريد أن يتزوجها، لأن الشريعة في سيام تسمح بتعدد الزوجات. (٣)

(١) من نافذة الإباحية ص ٧١ ، وعزاه إلى مجلة المجتمع الكويتية عدد ٤٧٠ ص ٣٥

(٢) انظر: الزواج لعمر رضا كحالة

(٣) الزواج لكحالة ج ١ ص ٣١٧ ، وعزاه مجلة العروسة عدد ٢٩ إبريل ١٩٢٥ م